فكاهات

رواية

القتيل الحي[1]

قدم انكلترا في اوائل سنة ١٨٧٠ طبيب يدعى الدكتور لانا فاقام بقريةٍ من ضواحي ليڤربول ولم يكن الناس يعرفون من احوالهِ سوى انهُ درس الطب في كلية غلَسكو وكان لونهُ اسمر ضارباً الى السواد وعيناهُ براقتين وحاجباهُ كثيفين فلقبوهُ لذلك بالطبيب الاسود . وبعد اقامتهِ بتلك القرية مدةً من الزمن ظهرت منهُ براعةٌ في الطب والجراحة وكياسة في المعاملة فاحبهُ السكان واهل الجوار وصاروا يعوّلون عليهِ في معالجة مرضاهم ويرحبون بهِ في منازلهم فزهت حالهُ ورفهت معيشتهُ وعظم قدرهُ وضحكت لهُ الدنيا بعد العبوسة فاقتنى عربةً واتخذ لهُ منزلاً انيقاً فاخر الرياش وخادمةً وخادماً . وكان الى ذلك العهد لم يزل عزَباً فلما استقرّ بهِ المقام وحسنت حالهُ خطب فتاةً ذات حسنٍ رائع وادبٍ وافرتدعى مس فرانس مورتون وهي يتيمة ليس لها في الدنيا سوى اخٍ واحد وكانت قد رأت الطبيب في حفلة انس فوقع الحب بينهما وانتهى الامر بان خطبها على ما بينهما من تفاوت السن لان عمرهُ كان ٣٧ سنة وعمرها ٢٤

---

(١) ملخصة عن الانكليزية بقلم خليل افندي الجاويش

وقبل ان يحلّ اجل الزفاف بشهر وردهُ كتاب من بوانس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية وكان اول كتاب وردهُ بعد قدومهِ الى انكلترا فلما قرأهُ تغيرت حالهُ واضطربت افكارهُ وقضى ذلك النهار وليلتهُ وهو يضرب اخماساً لاسداس. ولما كان صباح اليوم التالي سار الى منزل خطيبتهِ فجلس اليها وحادثها ملياً ثم انصرف وهو كاسف البال وظلت الفتاة في غرفتها طول ذلك النهار وادمعها تنحدر على وجنتيها وبعد اسبوعٍ شاع في القرية ان الطبيب فسخ خطبتهُ وتواتر على الألسنة ان شقيق الخطيبة المدعو آرثر مورتون حقد عليهِ واضمر لهُ الشرّ ولكن لم يعرف احدٌ سبب فسخ الخطبة ولا سبب حقد الفتى على الطبيب ولكنهم قرأوا في احدى المجلات الطبية الشهيرة اعلاناً مفادهُ ان طبيباً في القرية يريد بيع مستوصفهِ الطبي فظنوا انهُ الدكتور لانا المذكور

ومضى على ذلك ايام قلائل والطبيب ملازم لغرفتهِ لا يخرج من منزلهِ نهاراً ولا ليلاً ولا يراهُ احدٌ حتى اذا كان في احدى الليالي في مكتبهِ يطالع ويكتب وقد قارب انتصاف الليل سمعت خادمتهُ صراخاً عندهُ فاسرعت الى حجرتهِ وقرعت الباب وقالت هل لك من حاجة يا سيدي . فاجابها صوتٌ اجشّ من الداخل لا حاجة لي ارجعي الى مكانك فرجعت الى حجرتها وهي متعجبة خائفة ولكنها عرفت ان الصوت صوت مولاها نفسهِ . وبعد عشر دقائق اتت امرأة لتدعوهُ لعيادة مريض عندها وكانت غرفتهُ لا تزال منارةً وقرعت الباب فلم يجبها فرجعت وفي رجوعها رأت الفتى آرثر مورتون داخلاً الى المنزل وعيناهُ تقدحان شرراً . ولما

اصبحت عادت لتدعو الطبيب فرأت الفتى عينهُ قرب سور المنزل وعند ما وصلت الى مخدع الطبيب رأت ان المصباح لم يزل مناراً في المكتب فقرعت الباب فلم تسمع جواباً ونادت فلم تلقَ سميعاً . فوضعت عينها على خرقٍ في النافذة واجالت بصرها في الغرفة فرأت ذراع رجلٍ ملقاةً على الارض وباقي جسمهِ ورآءَ ستار . فهرولت الى الخادمة واخبرتها بالامر فجآءتا كلتاهما وفتحتا الباب وكان مغلقاً دون اقفال ودخلتا فوجدتا قرب المائدة جثةً باردة هي جثة الدكتور لانا بعينهِ وهو ملقىً على ظهرهِ واحدى عينيهِ منتفخة سودآء وفي وجههِ وعنقهِ آثار رضوض شديدة فتبادر الى ذهنهما انهُ قُتل خنقاً وكانت عليهِ الملابس التي يتلقى بها المرضى وعلى بساط الغرفة وعتبة الباب آثار حذآءٍ قذر ملطخ بالوحل . فلما رأتا ذلك صاحتا واسرع الخادم على صياحهما ولما رأى مولاهُ في تلك الحال خرج لساعتهِ واخبر رئيس الشحنة بما حدث فنهض للحال وسار معهُ . ولما وصل وشرع في فحص الواقعة لم يجد شيئاً مسروقاً من المنزل ووجد ساعة الطبيب وهي من ذهب في جيب صدرتهِ وهي لم تزل دائرة . ولكن الخادمة نبهتهُ الى فقدان صورة خطيبة القتيل وكانت هذه الصورة موضوعة في كفافٍ (برواز) فاخر فوُجد الكفاف ولم توجد الصورة . وعليهِ وجَّه التهمة الى شقيق الخطيبة والقى القبض عليهِ وحبسهُ لما قام ضدهُ من الدلائل والقرائن المشار اليها آنفاً ولما استنطقهُ عن وجودهِ في مسآء تلك الليلة وصباحها بالقرب من غرفة القتيل اجاب انهُ كان قادماً الى منزل الطبيب ليكلمهُ في بعض الشؤون المهمة فقرع عليهِ فلم يجبهُ وعاد في الصباح فكان كذلك فقفل راجعاً الى منزلهِ

ثم بلغهُ خبر قتلهِ كما بلغ غيرهُ من أهل القرية

وبعد ايام جرى استنطاق الشهود فذكر بعضهم زيادةً على ما تقدم ذكرهُ ما كان يتفوه بهِ المتهم في حق القتيل على اثر فسخ الخطبة وشهد غيرهم بان المتهم كان عالماً بان الطبيب يطيل السهر في مكتبهِ فاغتنم الفرصة وبطش بهِ في خلال الليل . ولما اوشكت الجلسة ان تختم دون ان يستطيع محامي المتهم اقامة ادلة ساطعة على برآءتهِ دخلت شقيقتهُ وعلائم الانفعال بادية على وجهها فسُئلت عما كان بين اخيها والقتيل وهل كان حاقداً عليهِ بعد فسخ الخطبة فقالت نعم ان اخي كان متغيظاً منهُ اشد الغيظ لجهلهِ السبب الذي حملهُ على الفسخ . فقيل لها وهل تظنين ان اخاكِ هو القاتل . فقالت لا . فقيل لها ومن هو القاتل اذاً . قالت ان الطبيب لم يُقتَل فليس احدٌ لهُ قاتلاً . فشخص الحضور اليها وقد تولاهم الذهول والحيرة ثم رفع القاضي صوتهُ وقال وكيف يمكن ان يُنكَر مقتلهُ واين هو اذاً وكيف تبرهنين على انهُ لم يُقتَل . فقالت انهُ قد بعث اليَّ بكتابٍ على اثر شيوع خبر قتلهِ ووجود جثتهِ والكتاب عندي غير انني لا أطلع المجلس عليهِ لاسبابٍ تخصني ولكن اليكم ظرفهُ فترون عليهِ طابع مدينة ليڤربول وتاريخ ارسالهِ في اليوم التالي لوجود الجثة . فقرأهُ القضاة فاذا هو كما وصفت تماماً فلم يبقَ عليهم الا ان يتأكدوا ان الخط خطهُ وان الرجل لم يزل حيًّا فيخرج اخوها بريئاً . وعلى ذلك أُرجئت الجلسة الى الغد وتفرق الحاضرون وهم يقولون اما ان الفتاة كاذبة في دعواها واما ان يكون الطبيب هو القاتل والقتيل رجل يشابههُ في المنظر ولولا ذلك لاطلعت الفتاة هيئة

المحكمة على الرسالة التي وردتها منهُ فهي اذاً تبرّئ اخاها وتوقع التهمة على خطيبها

وفي اليوم التالي انعقدت الجلسة ونودي بالفتاة فدخل الدكتور لانا وهو ثابت الجأش ووقف في محل الشهادة والناس ينظرون اليهِ وهم يكادون يكذبون ابصارهم . وبعد قليل تقدم نحو القاضي وانحنى امامهُ بتمام الادب والوقار وطلب ان يشرح قصتهُ ويبدي ما عندهُ فاذن لهُ القاضي فقال

كل من يعرف تاريخ الجمهورية الفضية لا بدَّ أن يعرف ايضاً ان فيها أسرة كريمة المحتد هي اسرة لانا المشهور وانا من هذه الاسرة وكان والدي وهو من اشرف عشائر اسپانيا القديمة قد نزح الى تلك البلاد وتقلد اكبر مناصب حكومتها واخلص الخدمة لها حتى انهُ لولا الفتن التي نشبت في سان جوان لتولى رئاسة الجمهورية المذكورة . ثم نزلت بوالدي خسائر فادحة فاضطررت انا واخي ارنست ان نشتغل معهُ في كسب ما يصون ماء الوجه وسُدَّت في وجهنا مناصب الحكومة أما اخي هذا فقد كان واياي توأمين وكانت مشابهتهُ لي عجيبة ولا سيما في زمن الصبى على انني كنت اكرههُ لسوء سيرتهِ وشراسة اخلاقهِ وما كان يأتيهِ من المنكرات التي ثلمت عرضنا وشانت سمعتنا فكان الناس يلصقون بي منكراتهِ ويعزون اليَّ قبائحهُ ويكرهونني لا لذنبٍ الا لكونهِ يشبهني في الخَلْق وان كنت لا أشبههُ في الخُلْق . وقد ختم سيئاتهِ بعمل تجاري تورط فيهِ والقى تبعاتهِ عليَّ فاضطُررت الى ترك بلادي والمجيء الى اوروبا طلباً للمعاش وكان لم يزل عندي مبلغ من المال فدرست الطب في غلسكو واقمت بهذه البلدة البعيدة حتى لا اسمع شيئاً من اخبار اخي . ومضت

على هذه الحال سنوات كنت فيها وادعاً مستريحاً ولكن الشيطان ابى ان يديم لي راحتي فعلم اخي بأني مقيم هنا من رجل لقيهُ في بوانس ايرس قادماً من ليڤربول وكان اخي قد خسر مالهُ كلهُ فظن انهُ اذا اتى اليَّ قاسمتهُ مالي واقام معي قرير العين ناعم البال . ولكنهُ لما كان يريد ان يفاجئني بوصولهِ لعلمهِ بشدة كراهيتي لهُ بعث اليَّ بكتاب يبلغني فيهِ انهُ قادم الى انكلترا وكنت انا قد خسرت في بعض المضاربات فخشيت ان يفتضح امري لدى معارفي اذا وصل اخي وأردت ان اعينهُ بشيءٍ من المال يساعدهُ على الرحيل والاشتغال بما يحلو لهُ او اذا اتى منكراً في بلدةٍ حزت فيها مقاماً مكرماً بجدي وحسن سلوكي فلم اجد سبيلاً الا بالرحيل قبل وصولهِ تخلصاً من شرهِ وعارهِ ولذلك فسخت خطبتي ولم ابين السبب الا لخطيبتي فكان ما كان من تقوُّل الناس في حقي وحقد المتهم عليَّ واغتياظهِ مني . وبعد مدةٍ وصل اخي الى انكلترا وجآءني ليلاً وانا في مكتبي والخدام نيام وكان في الحالة التي رأيتموهُ فيها وهو ميت فبعد ان حياني نظر اليَّ نظرة دلتني على انهُ لم يزل ذلك الغادر الخؤون السيئ السيرة وكانت الساعة العاشرة مسآءً فاخذ يخطر في الغرفة وهو يلعن الزمان واهلهُ ويقول انهُ اتى من ليڤربول ماشياً وانهُ تَعِبٌ مريض وقد اختصم في خلال السفر مع بعض النوتية فاصابتهُ رضوض في وجههِ وعنقهِ واحدى عينيهِ . فطيبت خاطرهُ وقدمت لهُ بعض الطعام فاكل ثم عاد يخطر في ارض الغرفة كالوحش الضاري وهو يشتمني ويقول انني ألعب بالمال في انكلترا وهو يكاد يموت جوعاً في اميركا فاذا لم اقاسمهُ ثروتي فعل وفعل . ولما رأى انني ساكت اوكاتم غيظي امسك بخناقي وهمَّ

ان يضربني ويمزق وجهي واذا بهِ قد اغمي عليهِ فصرخ صرخة المذبوح وخرَّ على الارض صريعاً. فمددت يدي الى نبضهِ فوجدتهُ ساكناً فعلمت ان مرض القلب الظاهرة دلائلهُ في بدنهِ قد اماتهُ لساعتهِ بسبب شدة تأثرهِ وانفعالهِ فبقيت نحو ساعة اتأمل في جثتهِ وابكي واذا بالخادمة قد طرقت بابي فامرتها بالرجوع الى فراشها ثم قُرِع الباب ولا اعلم من قرعهُ فلم أجب بكلمة. وبعد ان فكرت ملياً في امري وما حلَّ بي من الخطب وطنَّت نفسي على ان اهجر البلدة تخلصاً من القيل والقال فتركت جثة اخي بعد ان البستها ملابسي ليظن الناس عندما يرونها انني متُّ على حين بغتة ولبست انا ملابسهُ حتى لا ينتبه اليَّ احد في الطريق وحملت نقودي وصورة خطيبتي وسافرت ماشياً الى ليفربول فبلغتها في الليلة نفسها وتأهبت للسفر الى بلادٍ بعيدة ولكنني خشيت ان يُتهَم احدٌ بقتلي فبعثت الى خطيبتي برسالة اعلمها فيها بالامر. وبينا انا على وشك السفر وردتني رسالة منها تقول فيها ان اخاها قد أُتهم بانهُ القاتل وان دلائل عديدة قامت ضدهُ وأيدت جنايتهُ وقرأت في الجرائد مثل ذلك فركبت القطار وعدت راجعاً فوصلت الى هنا في صباح اليوم لأبين لكم حقيقة الجناية وقد فعلت فاحكموا بما ترون

وكان من ورآء ذلك ان المحكمة حققت كل ما قالهُ فوجدتهُ صحيحاً فبرأت ساحتهُ تبرئة تامة فعاد الى منزلهِ عزيزاً مكرماً وتصالح مع شقيق الفتاة وبعد شهر من الزمان اقترن بخطيبتهِ وعاشوا جميعاً على اتم السرور والصفآء